سلسلة إحذر

احذر الكذب

إعداد: أحمد حسن عرابي

منبر التوحيد والجهاد

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الكذب من أخطر رذائل الإنسان، ومن أعظم جرائم اللسان؛ لأن الكاذب يزيف الحقائق، ويجمِّل القبيح، ويزين الفحشاء والمنكر . والكذب داء خطير، ما أصاب أمة إلا أتى على حضارتها، وأشاع الفساد في مجتمعها . ويقف الكذب وراء الكثير من الجرائم التي يرتكبها الإنسان، ابتداءً من الشتم والسب وانتهاءً بسفك الدماء .

وقد ذم الله تعالى الكذب، فقال تعالى: (**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ**) [النحل: ١٠٥] . وحذر النبي ﷺ من الكذب فقال: " إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار " [متفق عليه] . وقد نزه الله أنبياءه عن الكذب وجعله مستحيلا في حقهم؛ لأنهم أمناء على تبليغ وحي الله تعالى إلى خلقه، وكان ﷺ يُلقب قبل الإسلام بالصادق . فعلينا أن نتخلى عن الكذب، ونتحلى بالصدق، حتى نحشر مع الصادقين في الجنة .

تعريف الكذب

الكذب في اللغة:

الكذب ضد الصدق . يقال: كذب فلان: أي أخبر عن الشيء بخلاف ما هو عليه في الواقع . وكذب عليه: أخبر عنه بما لم يكن فيه . واسم الفاعل المفرد: كاذب وكاذبة، والجمع كُذِّب وكواذب . وكذَّب بالأمر تكذيباً أنكره . والكِذْبَة: المرة من الكذب . والكذاب: كثير الكذب . والكاذبة: اسم للمصدر كالعافية . وكذب الرجل تكذيباً وكِذَّاباً: جعله كاذباً . تكذَّبوا عليه: زعموا أنه كاذب . تكذَّب فلان: إذا تكلف الكذب . والكاذب: اسم فاعل والمكذب أيضاً اسم فاعل . والمكذوب: اسم مفعول . والتكذيب: مصدر كذب .

الكذب في الشرع:

الكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف الواقع، تعمدت ذلك أم جهلته، واللسان هو عضو الكذب في الإنسان إذا كان الكذب في القول، واليد إذا كان الكذب فيما تكتبه، أما كذب الأفعال والأعمال فإن الجسم كله يعد من أعضاء الكذب .

والكذب قد يكون اختراعاً لقصة لا أصل لها، وذلك يسمى افتراء . وقد يكون الكذب زيادة في قصة أو نقصاناً، ويسمى حينئذ مَيْناً . وقد يكون الكذب في وجود المقول فيه فهو إذاً بهتان . وقد يكون الكذب في غيبة المقول فيه، فهو حينئذ كذب .

كذب الأفعال

وقد يكون الكذب في الأفعال كما في الأقوال، فقد يفعل الإنسان فعلا يوهم به حدوث شيء لم يحدث، أو يعبر به عن وجود شيء غير موجود، وذلك على سبيل المخادعة بالفعل، وربما يكون الكذب في الأفعال أشد خطراً، وأقوى تأثيراً من الكذب في الأقوال . . ومن أمثلة ذلك: ما حكاه الله تعالى لنا من أقوال إخوة يوسف عليه السلام وأفعالهم؛ إذ جاءوا أباهم عشاء يبكون بكاءً كاذباً، وقالوا – كذباً -: (**يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**) [يوسف: ١٧] . وجاءوا على قميص يوسف بدم كذب، فجمعوا بين كذب القول وكذب الفعل .

أمارات الكذب

تستطيع معرفة الكاذب عن طريق هذه الأمارات وهي:

١- أنك إذا لقنته الحديث ثم تحدث بعد ذلك، فإنه يخلط بين ما سمعه منك وبين ما يقوله من عند نفسه .

٢- أنك إذا رددت عليه كلامه، و لم تقبل قوله، ارتبك و لم يستطع أن يأتي بحجة تثبت صدق قوله .

٣- أنك إذا شكَّكته في كلامه تشكك فيه، وكاد أن يرجع عنه .

٤- يظهر على الكذاب ريبة الكذابين، ولذلك قال بعض الحكماء: الوجوه مرايا تريك أسرار البرايا .

أنواع الكذب

للكذب أنواع، هي:

١ - الكذب على الله:

وهو من أكبر الكبائر، ويكون بتحليل حرامه وتحريم حلاله، وقد بين الله تعالى نوعاً من الكذب عليه، فقال تعالى: (**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**) [آل عمران: ٧٥] .

فهذه الفئة من الناس كذبوا على الله، وادعوا أنه يأمرهم بأداء الأمانة إلى فئة أخرى، وأن هذا دين الله وشريعته، وأن الله أباح لهم أن يأكلوا أموال جماعة من الناس سحتاً وبهتاناً، ولذلك عقب الله تعالى على زعمهم ذلك بقوله: (**وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**) [آل عمران: ٧٨] . أي يعلمون أن ذلك باطل، وليس من شريعة الله . وبين الله تعالى شكلا آخر من الكذب عليه، وهو ادعاء اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه، فكذَّب الله زعمهم، فقال – عز وجل – في حقهم: (**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً، انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُبِيناً**) [النساء: ٤٩ – ٥٠] .

وبين الله تعالى عظم جرم الذي يكذب على الله، أو يكذِّب بآيات الله تعالى فقال: (**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ**) [الأنعام: ٢١] .

وافتراء الكذب على الله قد يكون بتحليل ما حَرَّم الله، أو تحريم ما أحل الله، أو تكذيب رسل الله وأنبيائه، أو القول على الله ورسوله والادعاء على الله تعالى، أو الخوض في القرآن الذي هو كلام الله، ولذلك بين الرسول ﷺ عقاب من يكذب على الله وعلى القرآن، فقال ﷺ: " من كذب على القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار " [أحمد] .

٢ - الكذب على الأنبياء:

الكذب على الأنبياء والرسل من أعظم الجرائم بعد الكذب على الله . ويأخذ الكذب على الرسل عدة صور وأشكال، منها:

أ- أن يكذِّب الناس الأنبياء والرسل كما فعل قوم نوح عندما قالوا له: (**فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ**) [هود: ٢٧] .

وكذلك فعلت عاد مع هود عليه السلام حيث قالوا له: (**إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**) [الأعراف: ٦٦] . وهذا ما فعل فرعون مع موسى عليه السلام ، حين قال لهامان: (**فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ**) [القصص: ٣٨] .

و لم يسلم من هذ التكذيب نبي من الأنبياء حتى نبينا محمد ﷺ، حيث قال له المشركون: (**أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ**) [القمر: ٢٥] .

ب- أن ينسب الناس قولاً كاذباً إلى الأنبياء، ثم يقولون كذباً: إنها من كلام وأحاديث الأنبياء، أو يقصون للناس قصصاً على أنها حدثت للأنبياء وهي لم تحدث لهم، ومثل هذا النوع من الكذب قد يقع من المؤمن والكافر بقصد ووعي أو بجهل وعدم وعي، ولذلك حذر النبي ﷺ من مثل هذا الكذب فقال ﷺ: " من حدَّث عني بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين " [مسلم] .

ومن الكذب على النبي ﷺ وضع الأحاديث وادعاء أنها من أحاديث النبي ﷺ، وقد بين النبي ﷺ جزاء من يفعل ذلك، فقال ﷺ: " من كذب عليّ متعمِّداً فليتبوّأ مقعده من النار " [البخاري] .

٣- الكذب على الناس:

والكذب على الناس له عدة أشكال، منها:

١- أن يكذب المرء ليبيع سلعته، وهذا ما يفعله بعض التجار، قال ﷺ: " إن التجار هم الفجار " . فقيل: يا رسول الله ﷺ! أليس قد أحل الله البيع؟ فقال ﷺ: " نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون، ويحدثون فيكذبون " [أحمد] .

ب- أن يقول الرجل: رأيت كذا وكذا . وهو لم ير شيئاً، وهذا هو القول الزور، وإذا طلب من ذلك الرجل أن يشهد بذلك، فهي إذاً شهادة الزور . قال تعالى محذراً من شهادة الزور: (**وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**) [الحج: ٣٠] .

وقد رهَّب النبي ﷺ من هذا النوع من الكذب، فقال ﷺ: " أفرى الفرى أن يرى الرجل عينيه ما لم تريا " [البخاري] . وقال ﷺ: " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟! الإشراك بالله، وعقوق الوالدين " . وكان ﷺ متكئاً فجلس، وقال: " ألا وقول الزور " [متفق عليه] .

جـ- أن يتحدث الرجل فيأتي بالأكاذيب لكي يضحك الناس، وهذا الصنف من الناس بين النبي ﷺ العقاب الذي ينتظرهم، فقال: " ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب، ويل له، ويل له " [الترمذي] .

د- أن يحدث الرجل أخاه في أمر آخر غير الذي يفهمه، فيصدق الرجل كل الذي يقوله، مع أنه يكذب عليه . ولذلك بين النبي ﷺ أن أهل الكذب على الناس من أكبر الخيانات، فقال ﷺ: " كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق، وأنت له كاذب " [أحمد] .

هـ- أن يدعو الرجل ولده ويمنيه بشيء ترغيباً له في الحضور لديه، مع أن الأب يكذب لكي يأتي الولد، فقد روى عن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك . فقال لها رسول الله ﷺ: " ما أردت أن تعطيه؟ " قالت: أردت أن أعطيه تمراً . فقال ﷺ لها: " أما أنكِ لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة " [أبو داود]

ولذلك حذرنا النبي ﷺ من فعل هذا النوع من الكذب، فقال ﷺ: " من قال لصبي تعال هاك ثم لم يعطه فهي كذبة " [أحمد] . وهكذا شرع النبي ﷺ لأولياء الأمور الطريقة المثلى في خطاب الأبناء، وتربيتهم على عدم الكذب، حتى ولو كان الابن صغيراً في أعينهم .

و- الكذب في تدوين التاريخ، وتشويه حضارات الأمم، والكذب في الإعلام والدعاية، وكذب الخاطب على مخطوبته، والمخطوبة على الخاطب .

٤ - الكذب على النفس:

بين الله تعالى في القرآن هذا النوع من الكذب على النفس، وذلك من خلال الحديث عن المشركين، فقال تعالى: (**وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ**

تَزْعُمُونَ، ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ، انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) [الأنعام: ٢٢ – ٢٤] .

فهؤلاء المشركون عندما يسألهم الله يوم القيامة عن شركائهم يقولون كذباً: والله ربنا ما كنا مشركين .

فهم بذلك كذبوا ولكن على أنفسهم؛ لأنهم لن يستطيعوا – يوم القيامة – أن يكذبوا على الله، وأن يحلفوا أنهم ما كانوا مشركين، وتعجب الله سبحانه من كذبهم الذي كذبوه على أنفسهم في الدنيا، فقال تعالى: **(انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)** [الأنعام: ٢٤] .

حكم الكذب

حُرم الكذب بالكتاب والسنة والإجماع؛ لما فيه من ضرر على المخاطب، لأنه يصدق كلام مَنْ يحدثه، فيجهل حقيقة الأمر مما قد يسبب له أضراراً كثيرة .

أولا: تحريم الكذب في القرآن:

* قال الله تعالى: **(إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ)** [النحل: ١٠٥] .

* وقال تعالى: **(وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ)** [الزمر: ٦٠] .

ثانياً: تحريم الكذب في السنة:

* قال ﷺ: " إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً " [متفق عليه] .

* وروى عن عبد الله بن جراد قال: سألت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله! هل يزني المؤمن؟ فقال ﷺ: " قد يكون ذلك " . قال عبد الله: يا نبي الله! هل يكذب المؤمن؟ فقال ﷺ: " لا " . ثم تلا النبي ﷺ قول الله تعالى: **(إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ)** [النحل: ١٠٥] . [ابن عبد البر] .

ثالثاً: تحريم الكذب في الإجماع:

وقد أجمع العلماء والفقهاء والصالحون على حرمة الكذب .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأن يضعني الصدق – وقلَّما يضع – أحب إلي من أن يرفعني الكذب وقلَّما يفعل .

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه: أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب .

وقال الشعبي : : ما أدري أيهما أبعد غوراً في النار الكذاب أو البخيل .

الكذب المباح والكذب الحرام

فرَّق الإسلام بين نوعين من الكذب:

١ - الكذب المباح:

ويكون بغرض الإصلاح بين الناس، أو بغرض إضلال العدو، أو بقصد الحفاظ على الحياة الزوجية . فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: " ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً " [متفق عليه] .

ولم يرخص النبي ﷺ في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها . [مسلم] .

٢ - الكذب الحرام:

وهو الكذب على الناس بقصد تحصيل منفعة دنيوية .

آثار الكذب

١ - الكذاب خاسر:

الكذب على الناس قبيح، ولكن الكذب على الله أقبح، وقد توعد الله لمن افترى عليه الكذب أن يعجل له العقوبة في الدنيا فيصاب الكاذب بالخسارة وعدم النجاح والسداد في أموره، قال تعالى: **(قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ)** [يونس: ٦٩] . وقال: **(وَلا تَقُولُوا لِمَا**

تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [النحل: ١١٦ – ١١٧] . ومن الكذب على الله، تحليل ما حرَّم الله وتحريم ما أحل .

٢ - الكذاب منافق:

الكاذب يكتسب صفة النفاق، ولذلك عد الله الكذابين من المنافقين، وجعل الكذب من سمات المنافقين، فقال تعالى: **(وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ، فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)** [التوبة: ٧٥ – ٧٧] . فهؤلاء المنافقون كذبوا وأخلفوا وعدهم مع الله . وقال تعالى: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)** [المجادلة: ١٤] . فالمنافقون لا يكتفون بالكذب، بل ويحلفون عليه، والله يشهد على كذبهم، ولذلك كان النبي ﷺ يعرف هؤلاء المنافقين، وحذر منهم ومن صفاتهم حتى لا يقع المسلمون فيما وقع فيه المنافقون .

٣ - الكذاب أسود القلب:

يصاب الكاذب في الدنيا بسواد القلب من كثرة كذبه، فمثل القلب الخالي من الكذب كمثل الصفحة البيضاء، ومثل الكذب مثل النكتة السوداء، فكلما كذب المسلم كذبة نكتت في قلبه نكتة سوداء، وتظل هذه النكت تزداد حتى يَسْوَدَّ قلبه، وذلك تصديقاً لقول النبي ﷺ: " لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب، فتنكت في قلبه نكتة سوداء حتى يَسْوَدَّ قلبه، فيكتب عند الله من الكاذبين " [مالك] .

٤ - الكذاب ضال:

إن الكاذب ضال بعيد عن هداية الله تعالى، وبعيد عن نور الله وطريقه المستقيم، يتخبط في الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن صنعاً، يرى الحق باطلا، ويرى النور ظلاما، ويرى العلم جهلا، والفضيلة رذيلة، لا يعرف للخير طريقاً، ولا للهداية سبيلا، فمثل هذا الكاذب شر من الدواب، ومن إخوان الشياطين، ومثل هذا الكاذب أحد صنفين من الناس، الأول هو الذي جمع الكذب مع الكفر، وهذا الذي قال الله تعالى فيه: **(إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ)** [الزمر: ٣] . وأما الصنف الثاني من الكذابين، فهو الكذاب المسرف في أمر الكذب، قال الله تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ)** [غافر: ٢٨] .

٥ - الكذاب في النار:

الكاذب بما يرتكبه من جرائم في حق نفسه وفي حق المجتمع، لا جزاء له إلا النار يوم القيامة . قال تعالى: (**وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**) [المائدة: ١٠] .

التحذير من الكذب

حذرنا الله تعالى في كتابه، والنبي ﷺ في سنته من الكذب ومن الكذابين في العديد من الآيات والأحاديث:

قال تعالى: (**وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً**) [الكهف: ٤ – ٥] . فالذي يكذب على الله وعلى رسله وأنبيائه، قد يخرج من دائرة الإيمان إلى الكفر؛ لأن الله أعد الكذب من هذا النوع أمراً عظيماً . وقال تعالى: (**وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ**) [المائدة: ٤١] . وقال تعالى: (**سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ**) [المائدة: ٤٢] . وهكذا ذم الله تعالى سماع الكذب من أصحابه، وضرب لنا مثلا لقوم – وهم اليهود – كانت حرفتهم سماع الكذب، وأكل المال الحرام . وقد حذر النبي ﷺ المسلمين من هذه الصفات الذميمة حتى لا يتشبهوا باليهود، فقال ﷺ: " من تشبه بقوم فهو معهم " . [أبو داود] .

* وقال ﷺ: " إذا كذب العبد تباعد المَلَك عنه ميلا من نتن ما جاء به " [الترمذي] .

وهكذا بين النبي ﷺ أثراً من آثار الكذب، وهو نتن الريح الذي ينتشر من الكاذب عند كذبه .

فالملك لم يستطع تحمل نتن ريح الكاذب فتباعد عنه مسافة ميل .

* وقال ﷺ: " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل متكبر " [مسلم] .

وهكذا بين النبي ﷺ أن هناك ثلاثة أصناف من الناس لا يحبهم، ولا يكلمهم، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، منهم: الحاكم الكذاب . فالكذب رذيلة أولى أن يبتعد عنها الحاكم، لأنه موضع الاقتداء والأسوة من الناس، والمفروض أنه لا يخاف أحداً من الناس فيكذب، ومن هنا كان وعيد الله الشديد للملك الكذاب .

* وقال ﷺ: " ألا إن الكذب يسود الوجه، والنميمة عذاب القبر " [الطبراني] .

فالنبي ﷺ يحذرنا من الكذب؛ لأنه يؤدي إلى سواد الوجه يوم القيامة .

* وقال ﷺ: " الكذب ريبة " [الترمذي] . فإذا كان الصدق طمأنينة، فالكذب على العكس، يجعل صاحبه في موضع شك، فالكاذب يضع نفسه موضع التهمة والشبهة بين الناس .

* وقال ﷺ: " آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر " [متفق عليه] .

فالكذب خصلة من خصال النفاق، فإذا اجتمعت في المسلم . هذه الخصال تمكن النفاق من قلبه .

* وقال ﷺ: " كبرت خيانة أن تحدث أخاً لك حديثاً هو لك مصدق وأنت له كاذب " [أحمد] .

ولذلك يجب أن نفر منه، ونحذر من عواقبه، ونكشف عن مضاره وأخطاره حتى لا نقع في حبائله .

* وقد كان ﷺ يبغض الكذب، ولا يرضى عن الكاذب حتى يعلن توبته عن الكذب، فقد روى عن عائشة أنها قالت: ما كان خلق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب، ما اطلع على أحد من ذلك بشيء فيخرج من قلبه حتى يعلم أنه قد أحدث توبة . [أحمد] .

* وقال ﷺ: " رأيت رجلين أتياني قالا: الذي رأيته يشق شدقه فكذاب يكذب بالكذبة تحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به إلى يوم القيامة " [البخاري] .

وإذا كان الكذب له مثل هذا العذاب عند الله، فالأولى أن ندعه حتى لا نعذب يوم القيامة .

* وروى أن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يوماً، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا فقالت: ها تعال أعطيك . فقال لها رسول الله ﷺ: " ما أردت أن تعطيه؟ " قالت: أردت أن أعطيه تمراً . فقال رسول الله ﷺ: " اما أنكِ لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة " [أبو داود] .

فينبغي إذن ترك الكذب ولو كان بقصد الإلهاء أو الترغيب أو الممازحة، حتى لا تكتب علينا عند الله كذبة .

* وعن أسماء بنت يزيد قالت: قلت يا رسول الله ﷺ إن قالت إحـــدانا لـــشيء تـــشتهيه لا أشتهيه يعد ذلك كذباً؟

فقال ﷺ: " إن الكذب يكتب كذباً حتى تكتب الكذيبة كذيبة " [أحمد] .

وهكذا يحذرنا النبي ﷺ من التهاون في شأن الكذب، لأن الملائكة الكتبة لا يغادرون شيئاً – صغيراً كان أو كبيراً – إلا أحصوه، ثم يوفى الكاذب حسابه عند ربه يوم القيامة .

* وقال ﷺ: " إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً " [متفق عليه] .

* وقال ﷺ: " الكذب ينقص الرزق " [الأصبهاني] .

هذه هي النتيجة والمحصلة التي يجنيها الكذاب، وهي الحسرة وضيق الرزق، والكذاب أولى بهذه الخسارة من غيره .

كلمات مضيئة

- أوصى لقمان ابنه فقال:

يا بني إياك والكذب، فإنه شهي كلحم العصفور، عما قليل يقلاه صاحبه .

- وقال مالك بن دينار: الصدق والكذب يعتركان فـــي القلب حتى يخرج أحدهما صاحبه .

- وقال الحارث المحاسبي: دع الكذب حيث ترى أنه ينفعك، فإنه يضرك .

- وقيل: علامة الكذاب: جوده باليمن بغير مستخلف .

- قال صالح بن عبد القدوس:

واختر صديقك واصطفيه تفاخراً

إن القرين إلى المقارن يتسب

ودع الكذوب ولا يكن لك صاحباً

إن الكذوب لبئس خلا يصحب

وقال آخر:

وما شيء إذا فكرت فيه

بأذهب للمروءة والجمال

من الكذب الذي لا خير فيه

وأبعد بالبهاء من الرجال

- وقال الحسن: كان يُقال: إن النفاق اختلاف السر والعلانية، والقول والعمل، والمدخل والمخرج . وإن الأصل الذي بُني عليه النفاق الكذب .

- وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –: أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب، وشر الندامة ندامة القيامة .

- وقال عمر بن عبد العزيز: والله ما كذبتُ منذ علمتُ أن الكذب يشين صاحبه .

- وقال الشعبي: ما أدري أيهما أبعد غوراً في النار: الكذَّاب أو البخيل؟

أسباب الكذب

هناك عدة أسباب تدفع إلى الكذب، منها:

١- جلب منفعة أو دفع ضرر، حيث يرى الكذاب أن الكذب أسلم وأغنم فيرخص لنفسه فيه ليرضي طمعه .

٢- وقد يلجأ الإنسان إلى الكذب ليكون حديثه عذباً، أو كلامه ظريفاً، فينال به إعجاب الناس .

٣- وقد يكذب الإنسان ليتشفى من عدوه وينال منه، ويقع فيه فيفضحه بما ليس فيه .

٤- حب الكذب والاعتياد عليه، والألفة به حتى يصير الكذب صفة له لازمة لا يستطيع التخلي عنها .

كل هذه الأسباب تصدر من رجل متزعزع العقيدة، ضعيف الإيمان، لأن الخوف لا يكون إلا من الله، وطلب النفع لا يرجى إلا من الله، ولذلك استبعد النبي ﷺ على المؤمن أن يكون كذاباً، فقال ﷺ: " يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب " [أحمد] .

علاج الكذب

إن أول مرحلة في علاج الكذب أن يحاول المسلم زيادة الإيمان في قلبه، حتى لا يخاف إلا الله ولا يرجو النفع إلا من الله . قال ﷺ: " إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله " [الترمذي] .

ومن طرق العلاج زيادة الإيمان بأن يعرف المسلم أن الله مطلع على أعماله، وأن كل أقواله مسجلة عليه، فالله تعالى يعلم الصادق من الكاذب . قال تعالى: (**فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**) [العنكبوت: ٣] .

وقال تعالى: (**وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**) [المنافقون: ١] .

- كذلك أن يعلم الكاذب ثواب الصدق عند الله تعالى في الآخرة، وحب الله للصادقين، وتقدير واحترام الناس للصادقين، قال ﷺ: " انا زعيم بيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً " [الترمذي] .

وقال ﷺ: " تقبلوا إليَّ بست أتقبل لكم الجنة " .

فقالوا: وما هن؟ فقال ﷺ " إذا حدث أحدكم فلا يكذب . . . " [الحاكم] .

وقال موسى عليه السلام يا رب أي عبادك خير لك عملا؟ قال: من لا يكذب لسانه، ولا يفجر قلبه، ولا يزني فرجه .

- أن يعرف المسلم سوء مصير الكاذب، وبغض الله تعالى له، وكراهية الناس ومقتهم للكذاب .

قال تعالى: (**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ**) [الزمر: ٦٠] .

وقال ﷺ: " إياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار " [ابن حبان] .

وقال ﷺ: " الكذب مجانب الإيمان " [البيهقي] .

وقال ﷺ: " ألا إن الكذب يسود الوجه " [الطبراني] .

وقال ﷺ: " ثلاثة لا يدخلون الجنة: الشيخ الزاني، والإمام الكذاب، والعائل المزهو " [البزار] .

- أن يقتدي المسلم بالسلف الصالح؛ فيبغض الكذب حتى يصير تركه طبيعة من طبائعه، وصفة من صفاته، فقد قال عمر بن عبد العزيز: ما كذبتُ كذبة منذ شددتُ عليَّ إزاري .

وقال ابن السماك: ما أراني أُؤْجر على ترك الكذب لأني إنما أدعه أنفة .

- أن يبتعد عن الكذب ابتعاداً كليًّا؛ فلا يستقلل الكذب، أو يدعي أنه ليس بكذاب لأنـــه لم يكذب إلا كذبة واحدة أو كذبتين، فقد قيل لخالد بن صبيح: أيسمى الرجل كذاباً بكذبة واحـــدة؟ قال: نعم .

وصايا

* ابتعد عن الكذب مهما تكن الأسباب، ولا فرق بين المزاح وغيره . قال ﷺ: " لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب في المزاح والمراء وإن كان صادقاً " [أحمد] .

* تَحَلَّ بالصدق، فإن في الصدق النجاة، فإذا دخل الصدق إلى قلب المؤمن طرد الكذب . قال ﷺ: " لا يجتمع الصدق والكذب جميعاً " [أحمد] .

* لا تكذب على زملائك أو أولادك بحجة إسكاتهم أو ترغيبهم، فإن ذلك يعودهم على الكذب عن طريق المحاكاة والقدوة السيئة .

* لا تلجأ إلى الكذب مهما كانت الظروف .

* إياك والكذب على الله فإنه أشد أنواع الكذب إثماً .

* الكذب بداية كل معصية، فتجنبه بكل وسيلة ممكنة .

أشبال التوحيد

الحمد لله رب العالمين..والصلاة والسلام على إمام المربين ..المبعوث رحمة للعالمين ..سيدنا محمد .. وعلى اله وصحبه أجمعين .. أما بعد ..

فلم يعد يخفى على كل ذي بصيرة ما تبذله أنظمة الكفر العالمي وأذنابهم من جهود ضخمة في سبيل إفساد أجيال المسلمين المتعاقبة .. وما ذلك إلا لخوفهم من أن تتصل هذه الأجيال الناشئة بأسلافهم ممن ملكوا هذه الدنيا بأيديهم بعد أن أخرجوها من قلوبهم .. فطوعوا أنفسهم لنصرة دينهم .. فذلت لهم رقاب الجبابرة ..

وإيمانا منا نحن إخوانكم في منبر التوحيد والجهاد أن تنشئة هذه الأجيال على عقيدة الإسلام وأخلاقه ؛ على هذا النبع الصافي - توحيد وجهاد - إيمانا منا أن ذلك لا بد أن يكون من أولويات الدعاة المربين .. وان ذلك هو أشد على الكفار من رميهم بالنبل .. فقد شرعنا بنشر هذه الرسائل الموجهة لأشبال التوحيد .. والتي نسأل الله أن تكون عونا لكافة إخواننا واخواتنا في تنشئة ذلك الجيل الفريد ..

فإلى أشبـــــال التوحيد .. نهدي هذه الكلمات ..

والله من وراء القصد